أَبُو النَّبي ﷺ وأُمُّه

ناجيان مرحومان

تأليف الفقير

عدنان بن عبد الله زُهار

كان الله له

❖ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابٗا مُّهِينٗا ٥٧﴾ [الأحزاب/٥٧]

❖ ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ١٥﴾ [الإسراء/١٥]

❖ ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ٢٤﴾ [الإسراء/٢٤]

❖ قال رسول الله ﷺ: "لم يلتق أبواي قط على سفاح، لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة مصفى مهذبا لا تتشعب شعبتان إلا كنتُ في خيرهما". رواه أبو نُعيم.

❖ سُئل القاضي أبو بكر بن العربي عن رجل قال: إن أبا النبي صلى الله عليه وآله وسلام في النار. فأجاب بأنه ملعونٌ، لأن الله تعالى قال ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابٗا مُّهِينٗا ٥٧ ﴾ [الأحزاب/٥٧]، ولا أذىً أعظم من أن يقال عن أبيه إنه في النار. اهـ

❖ عن أبي هريرة رضي الله عنه: قال جاءت سبيعة بنت أبي لهب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قالت: يا رسول الله، إن الناس يقولون: أنتِ بنتُ حطب النار، فقال صلى الله عليه وآله وسلم وهو مُغضبٌ: "ما بال أقوام يؤذون قرابتي، من آذى قرابتي فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله".

❖ "لا تؤذوا الأحياء بسب الأموات"

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمـــد لله رب العـــالمين والعاقبـــة للمـــتقين ولا عـــدوان إلا علـــى الظـــالمين، وأشـــــهد ألا إلـــه إلا الله ولي الصـــالحين وناصـــر المستضـــعفين وأشـــــهد أن سيدنا ومولانا محمـــدا رســـوله الأمـــين صـــلى الله عليـــه وآلـــه وســـلم وعلـــى آل بيته الطـــاهرين وأزواجـــه أمهـــات المـــؤمنين وأصـــحابه المنتخـــبين والتـــابعين لهـــم بإحسان إلى يوم الدين .

بِـــكَ أَســـتَهدي فَسَـــدِّدني إِلى	**أَرشَدِ السُبلِ وَأَهـــدى السَـــنَنِ**
رَبِّ وَفِّقني وَكُـــن عَـــوني عَلـــى	**شُكرِ مـــا أَولَيـــتَني مِـــن مِـــنَنِ**
رَبِّ أَمِّـــــني فَـــــإِنّي عائِـــــذٌ	**بِرَجـــاءِ الخـــائِفِ المُســـتَأمِنِ**
ما لِنَفســـي فيـــكَ مـــا تَملِكُـــهُ	**غَيرَ ما تَملِـــكُ نَفـــسُ المُـــؤمِنِ**
ثِقَـــةٌ مـــا خالَطَتـــها ريبَـــةٌ	**وَيَقـــينٌ مـــا بِـــهِ مِـــن وَهَـــنِ**
رَبِّ هَـــــذا سَـــبَبي أُدلي بِـــــهِ	**رَبِّ فَامـــدُد سَـــبَبي لا تُخـــزِني**

وبعد،

عن ابن عباس قال: لما انطلق عبدُ المطلب بابنه عبد الله ليُزَوِّجه مرَّ بـــه علـــى كاهنة من أهل تبالة متهودةٍ قد قرأت الكتب يقال لها "فاطمة بنت مر الخثعمية"، فرأت نـــور النبوة في وجه عبد الله. فقالت: يا فتى، هل لك أن تقعَ عليَّ الآن وأعطيك مائة من الإبـــل؟ فقال عبد الله:

أما الحـــرام فالممـــات دونـــه والحـــــل لا حـــــل فأســــتبينه

فكيف بالأمر الـــذي تبغينـــه يحمي الكـــريم عرضـــه ودينـــه

ثم مضى مع أبيه فزوجه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة، فأقام عندها ثلاثا.

ثم خرج من عندها حتى أتى المرأة التي عرضت عليه نفسها، فقال لها: مالك لا تعرضـــين عليَ اليومَ ما كنتِ عرضتِ بالأمس؟

فقالت: فارقك النور الذي كان معك بالأمس، فليس لي بك اليوم حاجة[١].اهـــ

[١]– "السيرة النبوية" لابن هشام ٢٩٢/١ "تاريخ الطبري" ٥٠٠/١ "البداية والنهاية" ٢٥٠/٢

هكذا أطبقت كتب التاريخ والسير والسنن على أن نور النبوة لا زال يتقلب في آباء النبي صلى الله عليه وآله وسلم، إلى أن وصل إلى أبيه سيدنا عبد الله، الذي نور نبوته من جبهته وظهوره من صلبه.

اختار الله الحكيم لنبيه العظيم أطهرَ نطفة في أشرف موضع، بطنِ سيدتنا آمنة، وخروجه من رحمها ورضاعه من لبنها[1]، وكان صدرها رضي الله عنها أولَ مُحضن لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وحبها وعطفها أول حصن حصين لنبي الله صلى الله عليه وآله وسلم.

قال أهل السير والتاريخ: وآمنة بنت وهب يومئذ أفضل امرأة نسبا وموضعا.اهـ

وقال ابن هشام: فرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أشرف ولد آدم حسبا وأفضلهم نسبا من قِبَلِ أبيه وأمه.اهـ[2]

لما شاءت حكمة رب العالمين أن يبعث خيرَ الخلق أجمعين، اختار له أشرفَ المواضع فجعل مكة موطنَه، وأكرمَ قوم فجعل بني هاشم قومَه، وأطهر نسب فجعل سيدنا إبراهيم الخليل جدَّه...

لَمْ تَزَلْ فِي ضَمَائِرِ الْكَوْنِ تُخْتَار لَكَ الأُمَّهَاتُ وَالْآبَاءُ

أمع هذا كلِّه يُخرجه من صلب كافر ورحم كافرة مستوجبين النار والعذاب والهوان؟!

---

١ – ثبت أن أم سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم سيدتنا آمنةَ رضي الله عنها أرضعته.

٢- "السيرة النبوية" لابن هشام ٢٣٨/١

اللهم غفرانك وعفوك، ورحمتك وحلمك.

قد اعتدى وظلم وبغى، وتجاوز حدَّه وأسرف وطغى، بعضُ من لم يجِدْ مِمَّا يتقرب بـه إلى الله إلا إذاية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في والديه، والتعرض لهما بما لو أوذي غيرُه في آبائه لعوتب عليه، حتى رآها المهووس المشغول بالمعصية عن الطاعة أنه من مهمات أمـور الدين، وظن أن الخوض فيها ونشر ضلالها من الإيمان واليقين.

وما هي عند مَن في قلبه مثقال حبة من خردل من حب النبي عليه السـلام، وتعظيمـه ورفع منزلته بين الأنام، إلا لغوٌ وتشغيبٌ، وإذايةٌ للمصطفى الحبيب.

قال الإمام مالك بن أنس رحمه الله: من آذى مسلما في أبويه الكـافرين عوقـب وأدب لحرمتهما[1].

هذا في آباء عامة المسلمين، الذين منهم السابق بالخيرات ومنهم المقتصد ومنهم الظـالم لنفسه، فما بالك بأعظم خلق الله وأكرم رُسْل الله سيدنا محمد بن عبد الله، يؤذيه ما يـؤذي عامة المسلمين،

يَجُوزُ فِي حَقِّهِمْ كُلُّ عَرَض غَيْرَ مُؤَدٍّ لِلنَّقْصِ كَالْمَرَض

نعم، لقد تعرض بعضهم لوالدي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، وادعوا أنهما مـن أهل النار ماتا على الكفر.

١- نقله الحافظ العيني في "عمدة القاري"

ولم يمنعهم "حبهم " له و"توقيرهم" لجنابه أن أذاعوا بين الناس هذا القـــول الباطـــل، وآذوا كلَّ مُحِبٍّ له بكلامهم العاطل، وصنفوا في ذلك مصنفات، وعقدوا ل"جهادهم" ذاك دروسا وخطبا ومحاضرات، وأشركوا فيه العامة والغوغاء، وأفرحوا بقولهم ومذهبهم صنوف الأعداء...فاللهم إنا برآء إليك مما قالوا، ونستغفرك مما جنوا واعتدوا وعاتوا...

ولم يجدوا في نصوص الشريعة قرآنا وسنةً ما يستندون عليه ويهتبلون بالرجوع إليـــه إلا خبرَ آحاد، إن سَلِمَ من الشذوذ متنا ومن العلل القادحة سندا، فهو خبر غير صـــريح فيمـــا افتروا، ولا محكم فيما فَرَوْا، وعلى مثل هذا الدليل الواهي يعتمدُ أهل الأهواء فيما رأوا.

قالوا لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لرجل سأله عن مصير أبيه الكافر: "إن أبي وأباك في النار".

وقالوا لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: "استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلمْ يأذن لي واستأذنته أن أزور قبرها فأذن لي"[1].

هذا الخبر وذاك أقوى ما تمسك به خصوم الحق، فحكموا على حامِلَيْ نور النبوة بالكفر والعذاب !

وهذه وقفة مع كل مسلم ومسلمة من خلال هذه السلسلة المباركة سلسلة "فتبينـــوا"، دعوةً إلى الحق وتحذيرا من الباطل وأهله وأعوانه، ليحترم جناب النبـــوة ويعظـــم في نفســـه

---

[1] سيأتي تخريج هذين الحديثين والكلام على معناهما في فصل قادم إن شاء الله

الأصلاب التي انتقل منها وإليها، ولا يقول في والدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم سيدنا عبد الله بن عبد المطلب وسيدتنا آمنة بنت وهب إلا ما يقتضيه مقامهما المعظم، لمقامهما من النبي صلى الله عليه وآله وسَلَّم.

[فصل في أدلة نجاة والدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم]

مع أنه لم يأت في القرآن الكريم ولا في سنة النبي الأمين ما يدلُّ صراحةً على أن أبوي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ماتا كافرين مستوجبين للعذاب في النار.

قال العلامة البرزنجي في "سَدادُ الدِّين وسِدادُ الدَّين"[1]:

اعلم أنه لم يثبت لا من الكتاب ولا من السنة ولا من الإجماع ولا من القياس دليلٌ على أن الأبوين الشريفين في النار، أو أنهما كافران، ولم يذكر ذلك أحدٌ من الأئمة المجتهدين المتبوعين من الأربعة ولا من غيرهم، وليس هذه من المسائل التي تتعلق بالاعتقاد الواجب في الشرع، بل ربما ادعي أن الواجب اعتقاد نجاتهما".اهـ

وأما ما توهمه بعضهم دليلا على ما ادعاه من موهما على الكفر فسيأتي الجواب عنه بعدُ إن شاء الله.

قلت: ومع أنه لم يثبت شيءٌ صحيح في كفرهما فقد وردت الأدلة على إيمانهما ونجاتهما، وهاك بعضَ البيان على ذلك:

١- ص ٨٢

❁ البيان الأول: قال سبحانه وتعالى في محكم تنزيله ﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء/١٥].

قال الإمام ابنُ تيمية رحمه الله في "مجموع الفتاوى"[١]: وإن كان الله لا يعاقب صاحبه (أي صاحب عمل ما) إلا بعد بلوغ الرسالة كما قال تعالى ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾...

ثم قال: ...فالعقاب عليها مشروط بتبليغ الرسول"اهـ

وقال رحمه الله في "مجموع الفتاوى"[٢]: فمن لم يبلغه أمر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في شيء معيَّنٍ لم يثبت حكم وجوبه عليه.اهـ

وقال الإمام ابن القيم في "إعلام الموقعين"[١]: فإن الله تعالى لا يعذب أحدا إلا بعد قيام الحجة عليه.اهـ

---

١ - ٣٢/٢٠

٢- ١٠٢/٢٢

وعلى هذا فإن أهل الفترة الذين منهم أبوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ناجون لعدم ثبوت قيام الحجة عليهم ولا بعث الرسول في زمنهم.

قال الحافظ السيوطي رحمه الله في "الدرج المنيفة"[2] : وقد اختلفت عبارة الأصحاب فيمن لم تبلغه الدعوة، فأحسنها أنه ناج، وقال بعض الأصحاب مسلم، وقال الغزالي: التحقيق أن يقال: في معنى المسلم.اهـ

وقال الإمام فخر الدين الرازي في "المحصول": شكر المنعم يجب شرعا لا عقلا خلافا للمعتزلة، لنا: لو تحقق الوجوب قبل البعثة لعُذب تاركه فلا وجوب، أما الملازمة فبينة؛ وأما أنه لا تعذيب فلقوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ نفى التعذيب إلى غاية البعثة فينتفي، وإلا وقع الخلف وهو محال.اهـ

فانظر إلى اتفاق أهل الإسلام على أنْ لا عذاب على من لم تبلغه دعوة المرسلين، كما تشير إليه آيات كثيرات في هذا الباب:

-منها : قوله تعالى: ﴿ رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ﴾ [النساء/١٦٥].

١- ٢٦٩/٤

٢- ١٩٤/١

- ومنها : قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ ﴾[طه/١٣٤].

-ومنها : قوله تعالى:﴿ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [القصص/٤٧].

-ومنها : قوله سبحانه:﴿ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۚ قَالُواْ فَٱدْعُواْ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾ ﴾ [غافر/٥٠].

-ومنها : قوله عز من قائل: ﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُواْ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ

﴿ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ ﴾

[الملك/٨– ٩].

فهذه آيات محكمة معانيها، صريحة مبانيها في أن الله لا يعذب أحدا إلا بعد قيام الحجة عليه وإرسال الرسول إليه[1].

ويزيدك وضوحا وبيانا دلالاتٌ أخرى من القرآن الكريم أن أهل الفترة الذين كان منهم أبو سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمه لم يبعث لهم نذير ولا بشير، فجُزِمَ بنجاتهما، ولا يجادل في ذلك إلا محجوب عن الفهم.

قال تعالى:﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [القصص/٤٦].

قال ابن جرير الطبري في "تفسيره"[2]: وهم العرب الذين بعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم...

---

١ _ كما قال ابن كثير في كلامه على الآية الأخيرة من "تفسيره"٣٩٨/٤؛ ولتنظر تفاسير القوم لهذه الآيات، كتفسير ابن كثير وتفسير القرطبي وتفسير البغوي وتفسير ابن عاشور وغيرها.

٢ _ ٨٢/٢٠ .

ﷺوقال عز من قائل﴿ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۚ بَلۡ هُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ٣ ﴾ [السجدة/٣].

قال ابن جرير في "التفسير"[1]: وهم قومه من قريش.

ﷺوقال عز وجل﴿ وَمَآ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّن كُتُبٖ يَدۡرُسُونَهَاۖ وَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمۡ قَبۡلَكَ مِن نَّذِيرٖ ٤٤ ﴾ [سبأ/٤٤].

قال ابن كثير في "تفسيره"[2]: أي ما أنزل الله على العرب من كتاب من قبل القرآن، وما أرسل إليهم نبيا قبل محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وقد كانوا يودون ذلك ويقولون: لو جاءنا نذير أو أنزل علينا كتاب لكنا أهدى من غيرنا.

ولا اعتراض على هذا بقوله سبحانه وتعالى﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ ٢٤ ﴾ [فاطر/٢٤]، لأنها من العموم المخصص،

١_ ٩٠٢/٢١ .

٢-٣/٥٤٣

أي إن هذا الإثبات عام خصصته الآيات السالفة الذكر، ولذا قال ابن جريج في هذه الآيـــة: إلا العرب[1].

البيان الثاني: قال المولى عز وجل﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [الإسراء/٢٤].

قال العلامة البرزنجي عند هذه الآية: فيه إشارة إلى أمره ﷺ بالدعاء والاستغفار لهما، فإنه أول مخاطب بهذه الآية، وقد خُصَّ في هذه الآية بالخطاب، لئلا يُظن أن المراد بها الأمة فقـــط، بعد أن عمَّه بقوله ۞﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ ﴾ [الإسراء/٢٣].

والمعلوم من أحواله ﷺ أنه قالها لأنه ﷺ كان من عادته أنه إذا مرَّ بآية رحمة سألها، أو آية عذاب استعاذ، أو آية دعاء دعا، كما ثبت ذلك في "الصحيح"[2].

١ــ نقله عنه القرطبي في "تفسيره" ١٤/٣٤٠

٢ــ "صحيح مسلم" [١/٥٣٦ ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل ، ح : ٧٧٢] عن حذيفة رضي الله عنه.

ونكتة أخرى جليلة: وهي أنه أمره بالترحم لهما دون الاستغفار، لأن المغفرة فرع وجود الذنب، وهو فرع التكليف، وهو فرع البعثة...وهما قد ماتا قبل البعثة، فلا تكليف، فلا ذنب، فلا استغفار حقيقة.

وأخرى: وهي أنه أتى ب"إن" الدالة على الشك في الوقوع، وأكدها ب"ما" الزائدة لتأكيد الشك في قوله ﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا ﴾ إشارةً إلى أن أبويه لم يبلغا الكبر عنده، فالآية نظير قوله تعالى ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ ﴾.ومن تأمل دقائق القرآن وجدها بحرا لا ساحل له.فالحمد لله على ما أعطانا من فهم معاني القرآن.اهـ كلامه النفيس، فلا مزيد ولا تعليق.

البيان الثالث: اعلم حفظني الله وإياك مصارع السوء أن والدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم وآباءه كانا موحدين على ملة سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام، فليسا فقط هما ناجيان بل مرحومان مثابان، ودونك بعض الدلائل الناصعات على ذلك.

الأول: دعوة سيدنا إبراهيم وسيدنا إسماعيل عليهما السلام عند بنائهما البيت، قال تعالى ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [البقرة/١٢٨].

وقال عز وجل﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧ ﴾ [إبراهيم/٣٧].

ولا شك أن الله أجاب دعوتهما عليهما السلام، وهي التي ظهرت في أصلابهما إلى أن بُعث النبي ﷺ.

ففي تفسير ابن المنذر عند قوله تعالى﴿ رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ ﴾ [إبراهيم/٤٠]:

فلن يزال من ذرية إبراهيم أناس على الفطرة يعبدون الله تعالى.

وقال ابن جرير في "تفسيره"[1]: استجاب الله له وجعل البلد آمنا، ورزق أهله من الثمرات وجعله إماما، وجعل من ذريته مَن يقيم الصلاة.

ويزيد ذلك بيانات ووضوحا الأمر التالي:

الثاني : ما روي في كتب السنن والسير والتاريخ من طهارة نسبه الشريف حسا ومعنى، فقد روى أبو نعيم[1] عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال:

---

١ _ ٢٢٨/١٣

"لم يلتق أبواي قط على سفاح، لم يزل الله ينقلني من الأصـــلاب الطيبـــة إلى الأرحـــام الطاهرة مصفى مهذبا لا تتشعب شعبتان إلا كنتُ في خيرهما".

وروى البخاري[2] عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليـــه وآله وسلم قال: "بعث في خير قرون بني آدم قرنا فقرنا حتى كنت من القـــرن الـــذي كنت فيهم".

وروى مسلم والترمذي[3] عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه، قـــال: قـــال رسول الله ﷺ: "إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى من ولـــد إسماعيـــل كنانة، واصطفى من كنانة قريشا، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني مـــن بـــني هاشم".

وروى أحمد والترمذي وحسنه[4] عن العباس رضي الله عنه قال: قال رســـول الله ﷺ : "إن الله حين خلق الخلق جعلني من خير خلقه، ثم حين فرقهم جعلني من خـــير

---

١ ــ عزاه إليه ابن حجر الهيتمي في "شرح الهمزية" ص٢٥.

٢ "صحيح البخاري" [١٣٠٥/٣ ، كتاب المناقب ، باب صفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ح ٣٣٦٤].

٣ "صحيح مسلم" [١٧٨٢/٤ ، كتاب الفضائل ، باب فضل نسب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ..، ح ٢٢٧٦ ، و"سنن الترمذي" [٥٨٣/٥ ، كتاب المناقب، باب فضل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ،ح ٣٦٠٥].

٤ "المسند" ٢١٠/١ و"سنن الترمذي" [٥٨٤/٥ ، كتاب المناقب، باب فضل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ،ح ٣٦٠٧].

الفرقين، ثم حين خلق القبائل جعلني من خير قبيلة، ثم حين خلق البيوت جعلني من خـــير بيوتهم، وحين خلق الأنفس جعلني من خير أنفسهم، فأنا خيرهم بيتا وخيرهم نفسا".

وروى ابن مردويه[1] عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قرأ رســـول الله ﷺ ﴿لقد جاءكم رسول من أَنْفَسِكُم﴾ [التوبة/١٢٨] يعني بفتح الفاء، فقال علي بـــن أبي طالب رضي الله عنه: يا رسول الله، ما معنى أنفَسكم؟ فقال: "أنا أنفســـكم نســـبا وصهرا وحسبا، وليس فيَّ ولا في آبائي من لدن آدم سفاحٌ، كلُّنا نكاح".

وروى الطبراني[2] عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا: "ما ولدني ســـفاحُ أهل الجاهلية شيء، ما ولدني إلا نكاح كنكاح الإسلام".

قال الإمام ابن حجر الهيتمي عقب ذكره لبعض هذه الأحاديث[3]: تنبيه: لك أن تأخذ من كلام النظم[4] الذي علمت أن الأحاديث مصرحة به لفظا في أكثره ومعـــنى في كله، أن آباء النبي صلى الله عليه وآله وسلم غير الأنبياء وأمهاتـــه إلى آدم وحـــواء

١ كما في "الدر المنثور" ١٩٦/٦

٢ "المعجم الكبير" ٣٢٩/١٠

٣ "شرح ابن حجر على الهمزية" ص ٢٩

٤ يقصد به قول الإمام البوصيري رحمه الله:

لم تزل في ضمائر الكون تختا***ر لك الأمهات والآباء

ليس فيهم كافر، لأن الكافر لا يقال في حقه إنه مختار ولا كريم ولا طاهر بل نجس كما في آية﴿ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾ [التوبة/٢٨].

وقد صرحت الأحاديث السابقة بأهم مختارون وأن الآباء كرامٌ والأمهات طاهرات، وأيضا فهم إلى إسماعيل كانوا من أهل الفترة، وهم في حكم المسلمين بنص الآية الآتية، وكذا من بين كل رسولين.اهـ

وقال البرزنجي في "سَداد الدِّين"[1]: فهذه الأخبار دلت على أنه ﷺ في كل عصر آباؤه كانوا خير الناس، ولا يتصور أن يكون الكافر خيرا من المسلم، فلا بد أن يكونوا مسلمين في كل عصر، والإسلام هو دين إبراهيم عليه السلام ودين سيدنا محمد ﷺ لاتباعه ملة إبراهيم عليه السلام، قال تعالى: ﴿ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ ﴾ [الحج/٧٨]، ولم يكن إذ ذاك دين سيدنا محمد ﷺ فوجب أنهم كانوا على دين إبراهيم عليه السلام ولأنه قال ﴿ليقيموا الصلوة﴾ وقال ﴿رب اجعلني مقيم الصلوة ومن ذريتي﴾، ولا تكون الصلاة إلا في شريعة، ولم تكن أنبياء بني إسرائيل تبعث إلى

---

١ ص ١٥٣

العرب، فوجب أن يكونوا على دين إبراهيم عليه السلام.اهــ كلام المحقق البرزنجـــي، فعُضَّ عليه ولا تحد عنه.

ونقل العلامة محمد أمين بن عمر بالي في كتابه "سبل السلام في حكم آبـــاء سيد الأنام" عن سعد الدين في "التلويح" أنه قال[1]: ووالدا رسول الله صـــلى الله عليـــه وآله وسلم آمنا بأن الله خالق السماوات والأرض، وخالق أنفسهم لا خـــالق غـــيره، ووحداه في الخلق مستدلا بما في سورة لقمان في حـــق مشـــركي أهـــل مكـــة، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان/٢٥]، وبما في ســـورة الزخرف ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف/٨٧] وبأن اسم الوالـــد الكريم: عبد الله.

قلت: فصار اسمه وسما على سمو مسماه.

قال: وأبو حنيفة رحمه الله تعالى لم يوجب على أهل الفترة إلا الإيمان بالخالق، وهو إيمان عقلي، فلم يتصف والداه بالكفر السماعي، ولا العقلي الحقيقي، حـــتى لـــو فرض اتصافهما بالكفر المجازي، يعني المتقدم شرحه.

---

[1] ص٦٣

والحال أنهما من أهل الفترة لم يكن ذلك كفرا في حقهما، فوجبت لهم الجنة عند أبي حنيفة رحمه الله.اهـ

البيـــان الرابـــع: قولـــه تعـــالى﴿ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ ﴾ [الشعراء/٢١٩].

وأخرج ابن أبي عمر العدني في "مسنده" والبزار وابن أبي حاتم والطبراني[1] وابن مردويه والبيهقـــي في "الـــدلائل" عـــن مجاهـــد، في قولـــه وَتَقَلُّبَكَ﴿ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ قال: "من نبي إلى نبي حتى أخرجت نبيا".

وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه وأبو نعيم في "الدلائل" عن ابن عباس[2]، في قوله ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ قال: ما زال النبي صلى الله عليه وسلم يتقلب في أصلاب الأنبياء حتى ولدته أمه.

---

١ "المعجم الكبير" ٣٦٢/١١ وباقي التخاريج من "الدر المنثور" للسيوطي ٣٣٣/٦

٢ "الدر المنثور" ٣٣٣/٦

وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس في حديث طويل: " لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة مصفى مهذبا".

قال البسنوي[1]: إنه كان ينقل نوره من ساجد إلى ساجد، وكان خير تلك القرون قرنا بعد قرن، لأنه بمنزلة الأصل للشجرة والقرون بمنزلة الشجر والصور الموجودة المشهودة بمنزلة أغصان الشجرة وأوراقها وأزهارها وأثمارها ولا يجيء المدد والفيض للشجرة وأغصانها وأوراقها إلا من أصلها حتى كنت: أي ما زلت في الظهور في أصلاب الآباء المعينة في القرون المقدرة إلى أن كنت بغير واسطة أب من الآباء، بل الصورة البشرية الكلية والصورة الجمعية الإلهية المختصة بي بالرسالة الكلية العامة في القرن الذي كنت فيه فحينئذ كانت آباؤه الذين كان هو في أصلابهم.اهـ

فهذه أحاديث منها الصحيح والحسن وفيها الضعيف، إذا أضيفت إلى الأحاديث السابقة الذكر في طهارة آبائه وخيرية أسلافه بأبي هو وأمي، يلُحْ لكلِّ ذي عقل سليم وفهم سديد وتوقير للنبي عليه الصلاة والتسليم، أن أبوي المصطفى كانا موحدين مؤمنين ما ماتا على الكفر، حاشاهما؛ بل ماتا من أهل التوحيد فالجنة دارهما وبرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فرحهما وفخرهما.

---

١ " مطالع النور السني المنبي عن طهارة نسب النبي العربي" ص ٥٩

۞ البيان الخامس: أخرج البخاري ومسلم في "صحيحهما"[1] عن أبي هريـــرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "رأيت عمرو بنَ عـــامر الخزاعي يجر قُصبه في النار، كان أول من سيَّب السوائب".

وأخرج الإمامُ أحمد في "مسنده"[2] عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "إن أول من سيب السوائب وعبد الأصنام أبو خزاعة عمرو بن عامر، وإني رأيتـــه يجُرُّ أمعاءه في النار".

وأخرج البزار في "مسنده"[3] عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قـــال: كـــان الناس بعد إسماعيل عليه السلام على الإسلام، وكان الشيطان يحذر الناس بالشيء يريد أن يردهم عن الإسلام، حتى أدخل عليهم في التلبية: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك، تملكه وما ملك.قال: فما زال حتى أخرجهم عـــن الإســـلام إلى الشرك.

فهذا دليل آخر على بقاء الإسلام في آباء النبي ﷺ منذ عهد إبراهيم إلى زمن عمرو المذكور، أما سيدنا عبد الله وأبوه عبد المطلب فكانا موحدين، ولم يثبت أن أحدا

---

١ "صحيح البخاري" [١٢٩٧/٣ ، كتاب المناقب، باب قصة خزاعة ، ح ٣٣٣٣] ، "صحيح مسلم" [٦١٨/٢ ، كتاب صلاة الخسوف ، باب ذكر عذاب القبر في صلاة الخسوف ، ح ٩٠١].

٢ ٤٤٦/١

٣ عزاه إليه الحافظ نور الدين في "المجمع" ٢٢٣/٣، وقال عقبه: رجاله رجال الصحيح

منهما عبد صنما أو سجد له، بل الوارد في كتب السير خلاف ذلك كما سيأتي، فكيف يليق بعاقل أن ينسب إلى الكفر ويحكم بالعذاب والنار على من لم يثبـــت دليـــل علـــى كفره، إن كان من عامة الناس، فضلا أن يكون من أشرف الناس وأعلاهم مرتبة؟.

قال الحافظ السيوطي: وأما عبد المطلب ففيه ثلاثة أقوال:

أحدها: وهو الأشبه أنه لم تبلغه دعوةٌ.

والثاني: أنه كان على التوحيد وملة إبراهيم عليه السلام، وهو ظاهر عمـــوم كلام الإمام فخر الدين الرازي، وما تقدم عن مجاهد وسفيان بن عيينة وغيرهما في تفسير الآيات السابقة.

والثالث: أن الله أحياه بعد بعثة النبي ﷺ حتى آمن به وأسلم، ثم مات، حكاه ابن سيد الناس، قال: وهذا أضعف الأقوال وأسقطها.

أقول: مما يدلُّ أنه كان على الحنيفية: أنه نذر ذبح ولده اقتـــداءً بـــإبراهيم عليه السلام، وأنه أتي في المنام فقيل له: أوف بنذرك، وأنه أُمر بحفر زمزم، وأنه نبع لـــه الماء في الفلاة، وأنه قال لأبرهة: إن للبيت ربا يحميه.وقال في ذلك وقد صعد أبا قبيس:

لاهُمَّ إن المـــرء يحمـــي رحلـــه فـــــــامنع حلالـــــــك

فانصـــر علـــى آل الصـــليب ـــه اليـــــــــوم آلـــه

وعابـــــــــــــــــــــدي عــــــــدوا محالــــــــك

لا يغلبن صـــليبهم ومحالــــهم

وأنه كان يؤمن بالبعث، وكان يأمر ولده بترك الظلم والبغي، ويحثهم علـــى مكارم الأخلاق، وينهاهم عن دنيات الأمور وسفسافها، وكان يقول في وصاياه: إنه لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى ينتقم منه ويصيبه عقوبة، إلى أن مات رجل ظلوم ولم تصـــبه عقوبة، فقيل لعبد المطلب في ذلك، فقال: والله إن وراء هذه الـــدار دارا يجـــزى فيهـــا المحسن بإحسانه، ويعاقب المسيء بإساءته.

ومما يدلُّ على إثباته المعاد والمبدأ أنه كان يضرب بالقداح على عبد الله ابنـــه ويقول: يا رب أنت الملك المحمود وأنت ربي المبـــدي المعيـــد، مـــن عنـــدك الطـــارف والتليد.ذكر هذه الشهرستاني وأصحاب السير وغيرهم.اهــ

وأما عبد الله أبو النبي ﷺ فلما دعته تلك المرأة إلى نفسها قال:

أما الحـــرام فالممـــات دونـــه والحـــــل لا حـــــل فأســــتبينه

فكيف بالأمر الـــذي تبغينـــه يحمي الكـــريم عرضـــه ودينـــه

ف

كونه يعرف الدين ويعرف الحلال والحرام ويعرف أن الزنى من الحرام، وأن النكاح من الحلال، يدل على أن دين إبراهيم عليه السلام كان باقيا فيهم.

ومن ينظر خطبة أبي طالب خديجة رضي الله عنها على النبي ﷺ وخطبته بين يدي الخطبة وحمده لله تعالى وثناؤه عليه، لا يشك أنهم كانوا على بصيرة من دين إبراهيم عليه السلام.

وأما آمنة بنت وهب أم النبي ﷺ فيدلُّ على أنها كانت تعرف دين إبـــراهيم عليه السلام ما أخرج أبو نعيم في "دلائل النبوة" من طريق الزهري، عن أم سماعة بنـــت أبي دهم، عن أمها قالت: شهدت آمنة في علتها التي ماتت فيها ومحمد ﷺ غلام يفح لـــه خمس سنين عند رأسها، فنظرت إلى وجهه، ثم قالت:

بارك الله فيـــك مـــن غـــلام	يا ابن الذي من حرمة الحمام
نجـــى بعـــون الملـــك المنعـــام	فودي غداة الضرب بالسهام
بمائـــة مـــن إبـــل الســـوام	إن صح ما أبصرت في المنام
فأنـــت مبعـــوث إلى الأنـــام	مـــن عنـــد ذي الجـــلال
تبعـــث في الحـــلال والحـــرام	والإكـــــــــــــــــرام
ديـــن أبيـــك الـــبر إبراهـــام	تبعث بالتحقيق والإســـلام
	فالله أنهـــاك عـــن الأصـــنام

أن لا تواليها مع الأقوام

ثم قالت: كلُّ حيٍّ ميت وكل جديد بال وكل كثير يفنى وأنا ميتة وذكـــري باق، وقد تركت خيرا وولدت طهرا ثم ماتت...

قال السيوطي: فانظر إلى كلامها تعلَمْ أنها كانت تعلم دين إبـــراهيم عليـــه السلام والحلال والحرام، ونهت ولدها عن عبادة الأصنام، وآمنـــت ببعثـــه رضـــي الله عنها.اهــ

البيان السادس: أخرج ابن جرير الطبري في "تفسيره"[1] عند قوله تعالىَ﴿ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ﴾ [الضحى/٥] عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنه قال: من رِضا محمد ﷺ أن لا يَدخُل أحدٌ من أهل بيته النار.

يؤَيِّدُهُ ما أخرجه الحاكم[2] وصححه عن ابن مسعود رضي الله عنه، أنه سئل عن أبويه فقال: "ما سألتهما ربي فيعطيني فيهما، وإني لقائم المقام المحمود".

وأخرج تمام في "فوائده" بسند ضعيف عن ابن عمر رضي الله عنهما قـــال: قال رسول الله ﷺ: "إذا كان يوم القيامة شفعت لأبي وأمي وعمي أبي طالـــب وأخ لي كان في الجاهلية".

---

١ ٢٣٢/٣٠

٢ "المستدرك" ٣٩٦/٢

قال السيوطي: أورده المحب الطبري وهو من الحفاظ والفقهاء في "ذخائر العقبى"، وقال: إن ثبت فهو مؤول في أبي طالب، على ما ورد في "الصحيح" من تخفيف العذاب بشفاعته.اهـ

قلت: فهذه أحاديث وإن كان في بعضها ضعف فإنه ينجبر بانضمام بعضها إلى بعض، ويكون بذلك للمسألة أصلٌ مؤيَّدٌ بما مرَّ ويأتي من أدلة على نجاة أبوي النبي ﷺ بل ورحمتهما.

البيان السابع: روى أبو حفص ابن شاهين في "الناسخ والمنسوخ"[1] عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ نزل إلى الحجون كئيبا حزينا فأقام به ما شاء ربه عز وجل، ثم رجع مسرورا؛ فقلت: يا رسول الله، نزلت إلى الحجون كئيبا حزينا فأقمتَ به ما شاء الله ثم رجعت مسرورا؟ قال: "سألت ربي عز وجل فأحيى لي أمي فآمنت بي ثم ردها".

فهذا الحديث فيه دلالة على أن الله أحيى للنبي ﷺ أمه فآمنت وصدقت، وقد اختلفت أنظار الحفاظ في حكمه.

---

[1] ٤٨٩/١

ونحنُ إذ لا نثقِلُ على المطالع بذكر حال رجاله[1] وخلاف أهل النقد فـــيهم، والتطويل بالجواب عن علله، فحسبنا أن نذكر أسماء الحفاظ الذين اعتمدوه حجة زائدة في اعتقاد نجاة أبوي النبي واعتبروه ناسخا لكل ما ورد بعكس ذلك، فمنهم:

❁الحافظ الخطيب البغدادي

❁الحافظ ابن عساكر

❁الحافظ أبو حفص ابن شاهين

❁الحافظ أبو القاسم السهيلي

❁الحافظ محب الدين الطبري

❁الإمام ناصر الدين ابن المنير

❁الحافظ ابن سيد الناس

❁الحافظ ناصر الدين الدمشقي

❁الإمام القرطبي المفسر

❁الحافظ جلال الدين السيوطي

---

١ ومن أراد التوسع في الحديث صناعةً، فليرجع إلى كتب السيوطي المصنفة في والدي المصطفى ﷺ وإلى "الفتاوى الفقهية" لابن حجر الهيتمي وإلى "سداد الدين" للبرزنجي، يجد منيته.

❁الحافظ بدر الدين العيني

❁المحدث الإمام محمد بن عبد الباقي الزرقاني

❁الإمام المحدث ابن حجر الهيتمي

❁الإمام محمد بن رسول البرزنجي

❁الإمام ابن عابدين

وغيرهم...

قال العلامة الإمام ابن حجر الهيتمي في "شرح الهمزية" [1]: بل في حديث صححه غيرُ واحدٍ من الحفاظ، ولم يلتفتوا لمن طعن فيه، أن الله تعالى أحياهما له فآمنا به خصوصيةً لهما وكرامة له صلى الله عليه وآله وسلم، فقول ابن دحية: يردُّه القرآن والإجماع...ليس في محله، لأن ذلك ممكن شرعا وعقلا على جهة الكرامة والخصوصية، فلا يرده القرآن والإجماع.

وكون الإيمان به لا ينفع بعد الموت محلُّه في غير الخصوصية والكرامة، وقد صح أنه صلى الله عليه وآله وسلم ردت عليه الشمس بعد مغيبها، فعاد الوقت حتى صلى عليٌّ رضي الله عنه العصر أداءً كرامةً له صلى الله عليه وآله وسلم، فكذا هنا.وطعن بعضُهم في صحة هذا بما لا يجدي أيضا.اهـ

---

١ ص ٢٦

۩ البيان الثامن: قد ثبت أن أبا طالب عمَّ سيدنا رسول الله أخف عذابا يوم القيامة، مع كونه أعرض عن دعوة الإسلام، فلم ينطق بالشهادتين، وإنما خفف عنه إكراما للمصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

وكذا نقل الحافظ ابن حجر في "الفتح"[1] عن السهيلي حكايته عن العباس رضي الله عنه أنه قال: لما مات أبو لهب رأيته في منامي بعد حول في شر حال فقال: ما لقيتُ بعدكم راحة، إلا أن العذاب يخفف عني كلَّ يوم اثنين. قال: وذلك أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولد يوم الاثنين، وكانت ثويبة بشرت أبا لهب بمولده فأعتقها.

فإذا فُعِل بأبي طالب وأبي لهب هذا لأجل النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فوالداه أعز وأكرم وأحق من عميه.

۩ البيان التاسع: أخرج الحاكم في "المستدرك"[2] عن عبد الله بن سعيد الصنابحي، قال: حضرنا مجلس معاوية بن أبي سفيان فتذاكر القوم إسماعيل وإسحاق بن إبراهيم، فقال بعضهم: الذبيح إسماعيل، وقال بعضهم: بل إسحاق الذبيح. فقال معاوية: سقطتم على الخبير، كنَّا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأتاه الأعرابي فقال:

---

١ ٩/١٤٥

٢ ٢/٦٠٤

يا رسول الله، خلفتُ البلاد يابسة ظاهرا يابسا، هلك المال وضاع العيال، فعُد علي بما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين. فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليه.

قال الحافظ ابن حجر في "الفتح"[1]: وحديث "أنا ابن الذبيحين" رَويناه في "الخلعيات" من حديث معاوية، ونقله عبد الله بن أحمد عن أبيه، وابن أبي حاتم عن أبيه، وأطنب ابن القيم في "الهدي" في الاستدلال لتقويته.اهـ

وروى البخاري في "صحيحه"[2] ومسلم في "صحيحه"[3] عن البراء بن عازب رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يقول يوم حنين: أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب.

أما الشاهد من هذه الأخبار فهو أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم سُرَّ وافتخر بالانتساب إلى أبيه وجدِّه.فكونه صلى الله عليه وآله وسلم تبسم عندما كناه الأعرابي بابن الذبيحين[4]، بل ورد أنه كنى نفسه بذلك كما مر، وكونه كان يقول أنا عبد المطلب، دليلٌ على اعتزازه بالانتساب إلى أبيه وجده والافتخار بكونه من صلبهما.

---

١ ٣٧٨/١٢

٢- [١٠٥١/٣ ، كتاب الجهاد والسير ، باب من قاد دابة غيره في الحرب، ح ٢٧٠٩].

٣- [كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة خيبر ، ١٤٠٠/٣ ح ١٧٧٦].

٤ _ الذبيح الأول نبي الله سيدنا إسماعيل والثاني سيدنا عبد الله أبوه عليه الصلاة والسلام.

ولكَ أن تلحظ ما في هذا من دلالة إيمانهما إذا عرفتَ أنه لا يجوز الافتخـــار بالأنساب أصلا، فضلا عن الافتخار بأهل الكفر.

قال الإمام النووي في "شرح مسلم"[1]: فإن قيل: كيف قال النبي صلى الله عليه وسلم "أنا ابن عبد المطلب" فانتسب إلى جده دون أبيه وافتخر بذلك، مـــع أن الافتخار في حق أكثر الناس من عمل الجاهلية؟ فالجواب: أنه صلى الله عليه وآله وسلم كانت شهرته بجده أكثر، لأن أباه عبد الله توفي شابا في حياة أبيه عبـــد المطلـــب قبـــل اشتهار عبد الله، وكان عبد المطلب مشهورا شهرة ظاهرة شائعة، وكان سيدَ أهل مكة، وكان كثير من الناس يدعون النبي صلى الله عليه وآله وسلم ابنَ عبد المطلب ينسبونه إلى جده لشهرته... وقد كان مشتهَرا عندهم أن عبد المطلب بشر بالنبي صلى الله عليه وسلم وأنه سيظهر وسيكون شأنه عظيما. وكان قد أخبره بذلك سيف بـــن ذي يـــزن، وقيل إن عبد المطلب رأى رؤيا تدل على ظهور النبي صلى الله عليه وســـلم، وكـــان ذلك مشهورا عندهم فأراد النبي صلى الله عليه وسلم تذكيرهم بذلك وتنبيههم بأنـــه صلى الله عليه وآله وسلم لا بد من ظهوره على الأعداء.اهـــ كلام النـــووي والـــذي يفيد بجلاء ووضوح طهارة آباء النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وإيمانهما، حتى افتخـــر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بهما.والعجب من النووي كيف يقرر هذا هنا ويحكـــم بالكفر عليهما في موضع آخر.

١ـ ١١٩/١٢

[فصل في رد دليل المعترضين ونقده]

أقوى ما تمسك به مَن قال بكفر أبوي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وزَعَم استحقاقهما للعذاب بأبي هما وأمي، حديثان:

الأول: رواه مسلم في "صحيحه"[1] عن أنس، أن رجلا قال: يا رسول الله، أين أبي؟ قال: "في النار" فلما قَفَّى[2] دعاه فقال: "إن أبي وأباك في النار".

قال الحافظ النووي في "المنهاج"[3]: وفيه أن من مات في الفترة على ما كانت عليه العرب من عبادة الأوثان فهو من أهل النار، وليس هذا مؤاخذةً قبل بلوغ الدعوة، فإن هؤلاء كان قد بلغتهم دعوة إبراهيم وغيره من الأنبياء صلوات الله تعالى وسلامه عليهم.اهـ

وقد اهتبل بكلام النووي هذا جماعةٌ وانزلقوا في مزلق الإذاية لجناب النبي الأعظم، على أن كلامه رحمه الله مرجوح مردود، تعرض لنقده جماعةٌ من المحققين، دونك ما اعترض به عليه الإمام الأُبِّي في "إكمال إكمال المعلم"[4]، قال:

---

١ [١/١٩١ ، كتاب الإيمان ، باب بيان أن من مات على الكفر فهو في النار..،ح ٢٠٣].

٢ أي ولّى قفاه منصرفا كما قال القرطبي في "المفهم" ٣/١٥١

٣ ٣/٧٨

٤ ١/٣٦٩

تأملْ ما في كلامه من التنافي، فإن من بلغتهم الدعوة ليسوا بأهـــل فتـــرة، وتعرف ذلك بأن أهل الفترة هم الأمم الكائنة بين أزمنة الرسل الذين لم يرســـل إلـــيهم الأول ولا أدركوا الثاني، كالأعراب الذين لم يرسل إليهم عيسى ولا لحقوا النبي صـــلى الله عليهما وسلم.اهــ

وقال ابن حجر الهيتمي في "شرح الهمزية"[1]: وأما قول النووي رحمه الله تعالى في حديث مسلم...[2] فبعيد جدا للاتفاق على أن إبراهيم ومن بعده لم يرسلوا للعـــرب ورسالة إسماعيل إليهم انتهت بموته، إذ لم يعلم لغير نبينا صلى الله عليه وآله وسلم عموم بعثة بعد الموت.اهــ

وقال النووي أيضا عند هذا الحديث: قاله لحسن خلقه صلى الله عليه وآلـــه وسلم تسليةً للرجل للاشتراك في المصيبة، وفيه أن من مات كافرا في النـــار، ولا تنفعـــه قرابة المقربين.اهــ

قال الأبي يتعقبه فيه أيضا[3]: انظر هذا الإطلاق! وقد قال السهيلي: ليس لنا أن نقول ذلك، فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم "لا تؤذوا الأحياء بسب الأمـــوات"،

---

١ ص ٢٧

٢ فذكر كلامه السابق

٣ "إكمال الإكمال" ٣٦٩/١

وقال: إِنَّ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ [الأحزاب/٥٧]، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم إنما قاله تسليةً للرجل، ولعله يصح ما جاء أنه صلى الله عليه وآله وسلم سأل الله فأحيى له أبويه فآمنا به، وقدر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فوق هذا، ولا يعجز الله شيءٌ.اهـ

إذا تبين ما في كلام النووي ومن قَلَّده من مخالفة وتعارض ومرجوحية فالجواب عن الحديث المذكور يكون من وجوه:

✓ الأول:أنه خبر آحاد لا يعارِض قطعياتِ القرآن والسنة.قال الباجوري في "شرح جوهرة التوحيد"[1]: أجيب بأن أحاديثهم أحاديث آحاد، وهي لا تعارض القطعي وهو قوله تعالى وَمَا﴿ كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولاً ﴾ [الإسراء/١٥].

✓ الثاني: تأويله بأن المقصود بالأب العم، قال ابن حجر الهيتمي[2]: يتعين تأويله، وأظهر تأويل له عندي أنه أراد بأبيه عمَّه أبا طالب، لما تقرَّر أن العرب تسمي العمَّ أباً، وقرينة المجاز فيه الآية الآتية الشاهدة بخلافه، على أصح محاملها عند أهل

---

[1] ١٠٠/١

[2] "شرح الهمزية" ص ٢٧

السنة، وأن عمَّهُ الذي كفله بعد جده عبد المطلب وأمِّه، إنما قصد بـــذلك أن يطيـــب خاطر ذلكم الرجل خشية أن يرتدَّ للوقوع في سمعه أولا أن أباه في النار، بدليل أنه إنمـــا قال له بعد أن وليّ، وكان ذلك قبل أن يترل عليه ﴿وما كنـــا معـــذبين حـــتى نبعـــث رسولا﴾.اهـــ

ويؤيد أن يكون العمُّ أبا قولُه تعالى﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ [البقرة/١٣٣].

قال ابن كثير في "تفسيره"[1]: وهذا مـــن بـــاب التغليـــب، لأن إسماعيل عمُّه. قال النحاس: والعرب تسمي العم أبا. نقله القرطبي.اهـــ

✓ الثالث: أن هذا الحديث متعقب في إسناده، كما أنه ممـــا تصـــرف الرواة في لفظه حتى جاءت رواياته مضطربة، مع علة خفية فيه ودونك البيان:

-أن هذا الحديث ورد بألفاظ متعددة لم تجتمع على معـــنى أن أبـــا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في النار، وهي:

*اللفظ الأول: "إن أبي وأباك في النار" كما في "صحيح مسلم".

---

١ ١/١٨٧

*اللفظ الثاني: "حيثما مررتَ بقبر كافر فبشره بالنار"، رواه البزار والطبراني في "الكبير"[1] عن سعد بن أبي وقاص، ورواه ابن ماجه[2] عن ابن عمر.

*اللفظ الثالث: "كل قبر لا يشهد صاحبه ألا إله إلا الله فهو في جذوة من النار، وقد وجدت عمي أبي طالب في طمطام من النار، فرواه الله لمكانه مني وإحسانه إلي، فجعله في ضحضاح من النار."أخرجه الطبراني[3] عن أم سلمة لما سأل الحارث بن هشام النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن أبيه هشام بن المغيرة.

فكثرة ألفاظ هذا الحديث التي يتعذر معها الجمع من جهة، والتي يعترض منها لفظ "أبي وأباك في النار" مع قطعيات القرآن والسنة من جهة أخرى، من دلائل الاضطراب فيه، الناشئ عن تصرف الرواة كما ألمح إلى ذلك الحافظ الطحاوي في "شرح مشكل الآثار "، فقال عند إيراده خبر أنس ومخالفة لفظه لخبر عمران بن الحصين : ففي هذا الحديث أن حصينا أبا عمران بن حصين مات مشركا، وفي

---

١ "مسند البزار" ٢٩٩/٣ و"المعجم الكبير" ١٤٥/١ قال الهيثمي في "المجمع" ١١٨/١: ورجاله رجال الصحيح.اهـ

٢ "سنن ابن ماجه" ٥٠١/١ ح ٣١، قال الحافظ البوصيري في "مصباح الزجاجة" ٤٣/٢: هذا إسناد صحيح، رجاله ثقات.اهـ

٣ ٤٠٥/٢٣، وقال الحافظ نور الدين الهيثمي في "مجمع الزوائد" ١١٨/١: وفيه عبد الله بن محمد بن عقيل وهو منكر الحديث لا يحتجون بحديثه، وقد وثق.اهـ قال ابن الجوزي في "الضعفاء والمتروكين" ١٤٠/٢: عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب أبو محمد المديني، يروي عن ابن عمر وجابر وأنس. قال يحيى: ضعيف. وقال الترمذي: هو صدوق لكن تكلم فيه بعضهم من قبل حفظه. قال البخاري: كان أحمد وإسحاق والحميدي يحتجون بحديثه.اهـ

الحديث الأول ذكر إسلامه وتعليم النبي صلى الله عليه وآله وسلم إياه وهذا اختلاف شديد.

فكان جوابنا له في ذلك بتوفيق الله عز وجل وعونه: أن هذا وإن كان اختلافا كما ذُكر في هذين الحديثين فإنه ليس من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وإنما هو من رواة هذين الحديثين.والله أعلم بحقيقة الأمر في ذلك ما هو.اهـ

-ثم إن هذا السند معلول من جهة راويين فيه:

*أحدهما ثابت بن أسلم البناني، وهو ثابت كاسمه كما قال الحافظ الذهبي في "الميزان"[1]، وإنما أورده ابن عدي في "الكامل في الضعفاء" لأنه وقع في أحاديثه نكرة من جهة الرواة عنه، وهو حال هذا السند؛ فإنما ذكرته هنا مع جلالته وإتقانه لأن الراوي عنه متكلم فيه، وهو:

*الثاني: حماد بن سلمة، الذي قال عنه الذهبي في "الميزان"[2] ثقة له أوهام ومناكير كثيرة، وكانوا يقولون: إنها دست في كتبه من ربيبه ابن أبي العوجاء، وكان حماد لا يحفظ فحدث بها فوهم، ومن ثَمَّ لم يُخرج له البخاري.اهـ

---

١ ٨١/٢

٢ ٣٦٠/٢

قلت: هذا وقد وثق حمادا جمعٌ من الحفاظ المتقنين واتهموا مَـنْ طعـن فيـه وتوقف في رواياته، حيث عدُّوهُ من الأبدال، لكننا نتوقف في هذه الرواية خاصةً من حديثه لثبوت الاختلاف الكثير فيها، كما سبق وأن ألمحنا إليه، ولمعارضة مضـمونها لقطعيات القرآن والسنة، فلا يُنكَرُ أن تكون إحدى تلك المناكير الواردة في أحاديثه كما أعلنها الحافظ الذهبي.

ولسنا بذلك نطعن في "صحيح الإمام مسـلم" كمـا سـيزفه المخـالفون ويفرحون به، بل قد وقع فيه وفي البخاري من أمثال ذلك الشيء الكـثير، يعلمـه المبتدئ في طلب علم الحديث، فلا حاجة لنا بإيراده في هذا المختصر.والحمد لله رب العالمين.

وعلى تسليم سلامة هذا السند من العلل فأقل ما فيه تلك المخالفة في متنـه لأصل عظيم من أصول الشريعة والذي سبق الإشارة إليه، ولـذلك أورده بعـضُ المحققين في الأحاديث الشاذة؛ وهو الإمام المحدث الفقيه سيدي عبد الله ابن الصديق الغماري في كتابه العجاب "الفوائد المقصودة ببيان الأحاديث الشاذة المردودة".

الثاني: هو حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: زار النبي صلى الله عليـه وآلـه وسلم قبرَ أمه فبكى وأبكى مَن حوله فقال: "استأذنت ربي في أن أستغفر لهـا فلـم

يؤذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها فأُذِن لي، فزوروا القبور فإنها تذكر الآخرة".رواه مسلم في "صحيحه"[1].

وهذه ثاني حجة وآخرها اعتمدها مَن حكم على أبوي المصطفى بأنهما من أهل النار، وهي حجة واهية وهاء بيت العنكبوت، ودونك البيان:

-أنه لا يدلُّ بأي طريق من طرق الدلالات على كفرهما أو عذابهما، بل الذي فيه فقط أنه لم يؤذن له، وعلة المنع أمر غيبي محضٌ لا دخل لفهم فلان وعلانٍ فيه؛ أما إذا وجب التأويل فليكن موافقا للقرآن والسنة وعلى قدر مرتبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فلِمَ لا يكون مُنع من الاستغفار لها لأنها ماتت مؤمنة موحدةً كما مر بيانه، فلعل الحكمة في ذلك أن يسدَّ ذريعة مَن يظن أنها نجت من النار لقرابتها من النبي ، بل نالت ذلك بإيمانها المستقر في قلبها، فلا حاجة حينها للاستغفار.

-ثم إن الحديث عن الاستغفار لا علاقة له بالكفر بوجه من الوجوه، فكيف استنبط ذلك المخالفون وعلى أي أساس وقاعدة رأوا ذلك.

---

[1] - [كتاب الجنائز ، باب استئذان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ربه في زيارة قبر أمه ٦٧١/٢ ح ٩٧٦].

قال الزرقاني: إن حديث عدم الإذن في الاستغفار لا يلزم منه الكفر بـــدليل أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان ممنوعا في أول الإسلام من الصلاة على من مات وعليه دين، ولم يترك له وفاء، ومن الاستغفار له وهو من المسلمين.اهــ

وقال القاضي عياض: بكاؤه عليه السلام أي ليس لتعذيبها، إنما هو أســـف على ما فاها من إدراك أيامه والإيمان به.اهــ

-قال الحق سبحانه وتعالى﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [التوبة/٨٤]، وهذا صريح في تحريم زيارة قبر الكفار والمنافقين، فكيف يفعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم شيئا منهيا عنه، وهو الأسوة الحسنة في القول والفعل، فدلَّ على أن حديث النهي عن الاستغفار للسيدة آمنة رضي الله عنه، دليل على أها غير كافرة بل مؤمنة مرحومة مُوحِّدة.

فهو دليلٌ لنا لا علينا.

-قوله تعالى﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾ وهذا قرآنٌ يصرِّحُ بصحة إيمان السيدة آمنة رضي الله عنها، إذ لا يعقل من النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يطلب من الله فعلَ شئ نزل القرآن بالمنع منه والتشديد في فعله.

فهو حديث لنا لا علينا.

ثم وقفت بعد هذا على تحقيق نفيس للعلامة سيدي عبد الله عبدي بن محمد البسنوي الرومي المتوفى سنة ١٠٥٣ هـ، قال في كتابه "مطالع النور السني المنبي عن طهارة نسب النبي العربي"[1]: وقوله في حديث الاستغفار "فلم يؤذن له" لا يكون نصا على عدم قبول الاستغفار منه لأمِّه لوجهين:

أحدهما: أن كون قبر أمه في الحجون غير متفق عليه؛ لأن الحديث الآخر يعارضه، لأنه قيل: إن أمه آمنة ماتت بالأبواء.

وفي رواية أنها دفنت بالحجون، وفي بعضها في دار النابغة بمكة، فلا اتفاق في كون قبرها بالحجون.

وقال الأزرقي في "تاريخ مكة"[2]: حدثنا محمد بن يحيى، عن عبد العزيز بن عمران، عن هاشم بن عاصم الأسلمي، قال: لما خرجت قريشٌ إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم في غزوة أحد، فنزلوا بالأبواء. قالت هند بنت عتبة لأبي سفيان بن حرب: لو بحثتم قبر آمنة أم النبي صلى الله عليه وآله وسلم فإنه بالأبواء، فإن أُسر أحد منكم افتديتم به كل إنسان بإرب من آرابها، فذكر ذلك أبو سفيان لقريش.

فقالت قريش: لا تفتحْ علينا هذا الباب، إذاً ينبش بنو بكر موتانا.

---

[1] ص ٧١

[2] ٢٧٤/٣

والوجه الثاني: أن عدم الإذن بالاستغفار لا يوجب كونهما من أهـــل النـــار لوجهين:

*أحدهما: بالنسبة إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأنه مـــأمور بـــدعوة الأحياء إلى الإيمان لا بدعوة الأموات الذين انتقلوا إلى البرزخ قبل بعثته والاستغفار لهم وإن كان يستغفر لهم من تلقاء نفسه، أو لأنه كان يطلب الإذن بالاستغفار لهـــم من تلقاء نفسه أو لأنه كان يطلب الإذن بالاستغفار من غير وحي إلهـــي لــــه بــــه، والأولى والأجدى له أن يكون عند وحي ربه.

ولهذا قال تعالى (وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ) [طه/١١٤] وقال الله تعالى (خُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُو۟رِيكُمْ ءَايَـٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾) [الأنبياء/٣٧].

*والثاني: بالنسبة إلى من طلب الإذن بالاستغفار له لعدم مجيء الوقت المعين له عند الله فيؤخر لاختصاصه بالوقت الآخر، فإذا جاء الوقت لا يـــؤخر، فيـــؤذن فيجوز ألا يؤذن في وقت ويؤذن في وقت آخر، كما قالت عائشة رضي الله عنـــها: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نزل إلى الحجون كئيبا حزينا، فاقام به ما شاء الله ثم رجع مسرورا، وقال: "سألت ربي عـــز وجـــل فـــأحيى لي أمـــي فآمنـــت بي ثم ردها".اهـــ كلامه النفيس.

[فصل في حكم مؤذي النبي صلى الله عليه وآله وسلم في والديه]

قال الجلال السيوطي: وجدتُ بخط الشيخ كمال الدين الشُمُنِّي الحنفي ما نصه: سُئل القاضي أبو بكر بن العربي عن رجل قال: إن أبا النبي صلى الله عليه وآله وسلام في النار.

فأجاب بأنه ملعونٌ، لأن الله تعالى قال ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ ﴾ [الأحزاب/٥٧]، ولا أذىً أعظم من أن يقال عن أبيه إنه في النار.اهـ

وقال السهيلي في "الروض الأنف"[1]: وليس لنا أن نقول ذلك في أبويه صلى الله عليه وآله وسلم، لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: "لا تؤذوا الأحياء بسب الأموات"، وقال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ ﴾.اهـ

وقال الباجي: يحرم أ ن يؤذى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمباح ولا غيره.اهـ

---

١ ٢٨٩/١

وأورد الطبري في "ذخائر العقبى"[1] عن أبي هريرة رضي الله عنه: قال جاءت سبيعة بنت أبي لهب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قالت: يا رسول الله، إن الناس يقولون: أنتِ بنتُ حطب النار، فقال صلى الله عليه وآله وسلم وهو مُغضبٌ: "ما بال أقوام يؤذون قرابتي، من آذى قرابتي فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله".

وأخرج أبو نعيم في "حلية الأولياء"[2] أن عمر بن عبد العزيز أتى بكاتب يخط بين يديه وكان مسلما وكان أبوه كافرا، فقال للذي جاء به: لو كنت جئت به من أبناء المهاجرين، فقال الكاتب: قد كان أبو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم...وقال كلمةً أسقطتها أنا[3]، فغضب عمر، وقال: لا تخطَّ بين يديَّ بقلم أبدا.

وقال تاج الدين السبكي في "[4]التوشيح": قال الشافعي في بعض نصوصه: وقطع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم امرأةً لها شرف وكلِّم فيها، فقال: لو سرقت فلانة –لامرأة شريفة– لقطعت يدها.

---

١ ٢٩٧/٥

٢ ٢٨٤/٥

٣ أي أنه قال كلمة الكفر في حق الأبوين الشريفين فأسقطها من الخط تهيبا منها وتعظيما لقدر من قيلت فيه.فقارن رعاك الله بين هذا الأدب والخشية وبين تهور المتنطعين المؤذين لله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

قال السبكي: فانظر إلى قوله "فلانة" ولم يبُحْ باسم فاطمة عليهــا الســلام، تأدبا معها أن يذكرها في هذا المعرض، وإن كان أبوها صلى الله عليه وآله وسلم قد ذكرها، لأنه يحسُن منه ما لا يحسن منا.اهــ

وقال القسطلاني في "المواهب"[1]: الحذر الحذر من ذكرهما بما فيه نقصٌ، فإن ذلك يؤذي النبي صلى الله عليه وآله وسلم، لأن العرف جار بأنه إذا ذُكــر أبــو الشخص بما ينقصه أو وصف بوصف وذلك الوصف فيه نقصٌ، تأذى ولدُه بــذكر ذلك له عند المخاطبة، وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "لا تؤذوا الأحيــاء بسب الأموات"، ولا ريب أن إيذاءَه كفرٌ يقتل فاعله عندنا إن لم يتُب.اهــ

وقال العلامة ابن حجر في "النعمة الكبرى"[2]: احذر أن تروغ عــن القــول بنجاتهما، فإنه صلى الله عليه وآله وسلم حذرك من ذلك بقوله لمــا اشــتكى إليــه عكرمة أن الناس يسبون أبا جهل: "لا تؤذوا الأحياء بسب الأموات".

قال: فالخوض في ذلك على خلاف ما قلنا[3] ربما يؤذيه صلى الله عليه وآلــه وسلم، وإيذاؤه كفرٌ يراق به دمُ قائله، فعلى العاقل أن يصرف نفســه عــن هــذه الورطة الصعبة التي قد تفضي إلى الكفر والعياذ بالله تعالى.اهــ

---

١ ٢٥٥/١

٢ ص ٢٠

٣ وقوله هو نجاتهما

وقال في "الفتاوى"[1]: إياك أن يسبق لسانُك إلى غير ما قلنا[2]، فتكــون ممــن آذي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فتستحق اللعنة بنص القرآن كما قدمنا عن ابن العربي، وإذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لما شكى إليــه عكرمة ابنُ أبي جهل قولَ الناس: هذا ابن أبي جهل: "لا تــؤذوا الأحيــاء بســب الأموات"، هذا مع كونه أبا جهل، فما ظنك بمن يتكلم في آبائه صلى الله عليه وآله وسلم بما يحطهم عن غاية الشرف والرفعة؟ نعوذ بالله من ذلك، ونسأله السلامة عن الخوض في مثل هذه المهالك.اهـ

قال البرزنجي[3]: وانظر إلى ما مرَّ عن الهروي وأبي نعيم كيف تحاشيا عن ذكر الأب الشريف بنقص، ولو بطريق الحكاية خوفا من إيذائه صلى الله عليــه وآلــه وسلم، وإذا كان ينهى عن ذكر أبي لهب بذلك لئلا تتأذى بنتُه، بل وعن ذكــر أبي جهل لئلا يتأذى ابنه، فكيف بوالديه صلى الله عليه وآله وسلم؟ مع أنهما لم يثبــت عنهما كفرٌ كما تقدم، بل الذي نعتقده أنهما ناجيان.

قد قال بنجاتهما جمعٌ كثيرٌ وجم غفير، ممن جمــع بــين الحــديث والفقــه والاصول، كابن العربي وابن شاهين وابن المنير وابن ناصر الدين الدمشقي والإمــام

---

١ ص ١٧٥

٢ وقوله هو نجاتهما

٣ "سداد الدين" ص ١٠٤

فخر الدين الرازي والسبكي والقرطبي والأُبي والمحب الطبري وابن سيد الناس والشرف المناوي، ونقله ابن الجوزي في كتاب "مرآة الزمان" عن جماعة، والحافظ ابن حجر العسقلاني كما سيأتي، والإمام حافظ الدين الحنفي صاحب "جامع السلوك" في شرح مناقب الإمام أبي حنيفة.

وممن اشتهر بهذه المسألة خاتمة الحفاظ الإمام المجتهد مجدد المائة التاسعة أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمان السيوطي، فإنه ألف في المسألة خمسة تأليفات وبسط القول فيها، والإمام العلامة المحقق الشهاب أحمد بن حجر الهيتمي المكي، فإنه بسط القول فيها بعض البسط في "النعمة الكبرى"، وفي "الفتاوى" وفي "شرح الهمزية"، وأتى فيها بالعجب العجاب، ووقفتُ لبعض متأخري الحنفية من أهل الروم على رسالة أحسن القول فيها، وأتى فيها بالتحقيق، جزاهم الله خيرا.اهـ

[الخاتمة]

إن الخلاف في مسألة نجاة والدي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم خلاف غيرُ معتبر، لأن أدلة المخالفين، المؤذين رسولَ الله صلى الله عليه وآلــه وســـلم في والديه ضعيفة ظنية، وأدلة المحبين المعظمين قدر نبيهم عليه الصلاة والســـلام، قويـــة قطعية، ولا قيمة لظني أمام قطعي ولا لضعيف قدامَ قَوي، وإنما منع جماعةً من أهـــل التحقيق الخوضُ في هذا المبحث بما يوافق الصواب من عقيدة المســـلمين، هيبـــتُهم لصحيح مسلم، وكَمْ كادت هذه الهيبة تَنقضُ كليَّات في الشريعة وتضرب الأصول في الديانة، لولا أن منَّ الله تعالى على هذه الأمة بأهل الفهم والفقه الذين نظروا إلى الحديث بأصول القرآن والسنة المتواترة، وشرحوه بضوابط التكامل في النصـــوص واستقراء باقي أدلة المسألة المبحوث عنها.

ولأختم بالوصية التي ختم بها العلامة البسنوي كتابه "مطالع النـــور الســـني المنبي عن طهارة نسب النبي العربي"[1]، قال رحمه الله:

المطلع العاشر: الوصية

اعلم أن مما وجب على العبد التقي، والمؤمن الورع النقي، التوجـــه إلى الله بالأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة، وأن يتره نفسه عـــن الصـــفات النفســـانية والأخلاق الطبيعية التي تقتضي توجهه إلى عالم الخلق، ويخلي قلبـــه عـــن الخـــواطر الكونية واللوائح الغيرية التي توجب احتجابه عن حضرة الجمع والفرق، وأن يطلب من الله تعالى أولا: الفهم في الكتاب والسنة: أي بعد إعراضه عن الخلق وتوجهه إلى الحق.

وأن يطلب الفهم من الله بالتتره عن الصفات الكونية والتحلـــي بالصـــفات الإلهية كما في الكتاب الذي أنزله على عبده ورسوله والكلام الذي صدر من لسانه فإنه صلى الله عليه وآله وسلم قال "أهل القرآن هم أهل الله وخاصته"[2].

أي أهل القرآن في الفهم فيه عن الله بإعطاء الله لهم الفهم بالتجلي الإلهي في قلوبهم وبواطنهم هم أهل الله وخاصته، فيحكم بالفهم الذي رزقـــه الله في كتابـــه والفهم الذي رزقه الله في حديث رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وراثة حقيقيـــة،

---

[1] ص ١٠١

[2] رواه ابن ماجه في سننه ٧٨/١ ح ٢١١ عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

وهو الفهم عن الله تعالى في القرآن والحديث، فإن الحديث مثل القرآن في النص، فإنه صلى الله عليه وآله وسلم ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

وهو الفهم عن الله في قلبه صلى الله عليه وآله وسلم فالذي يعطيه الفهم عن الله في القرآن والحديث في حق أبوي النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو الإسلام والتوحيد، فإن الله أخبر في القرآن عن دعوة إبراهيم عليه السلام في حق ذريته وبقاء ملته فيهم وبعث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فيهم منهم بالكتاب والحكمة، وشهد ببقاء كلمة التوحيد في ذريته إلى مبعث الرسول فقبل الله دعوته فأبقى ملته في ذريته وأثبت ذريته عليها.

ولا سيما ذريته الذين كان صلى الله عليه وآله وسلم ينقلب في صورهم من أصلابهم الطاهرة إلى الأرحام الطاهرة، ومن الأرحام الطاهرة إلى الأصلاب الطاهرة، إلى ظهور الصورة الحسية البشرية والصورة الكلية المحمدية الجامعة، مترقيا في الصفاء والتهذيب إلى أن وصل إلى أبويه الذين اقتضت حالهما كمال نشأته العنصرية البشرية وظهوره على الصورة الكمالية المحمدية التي أرادها الحق تعالى، وتوقف عليها نزول الكتاب: أي القرآن الذي يتضمن المعرفة التامة، والعبودية الكاملة.

كما قال صلى الله عليه وآله وسلم[1]: "لم يزل ينقلني من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الطاهرة مصفى مهذبا".

وأما ما عدا الفهم عن الله في الكتاب والسنة بالتوجه إلى الأمور الحسية والأحوال الخسيسة واستعمال الأنظار الفكرية والأدلة العقلية على مقتضى الخواطر البشرية والإلقاءات الشيطانية فضلالٌ وحرمان وطردٌ من جناب الحق وخذلان.

ثم اعلم أن إبراهيم عليه السلام صاحب الشريعة الخاصة والملة العامة لـه تخلل في الحضرات الأسمائية، وتخلق بالصفات الإلهية في المراتب الغيبية، متوجه لوجه الله الجامع لجميع الوجوه الأسمائية معرض عن الوجوه المظهرية في العوالم العلوية والسفلية، متحقق بالعبودية الكلية التي هي الغرض من الشرائع الإلهية؛ فلهذا طلب من الله في ندائه على الإسلام والانقياد إلى الله، وطلب ثبوت ذريته عليه وبقاءه فيهم إلى مبعث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بالكتاب والحكمة.

فإن بيت إبراهيم عليه السلام بيت النبوة في ذريته هم آباؤه صلى الله عليه وآله وسلم الذين ظهروا من صلبه صورة سره ونشؤوا في حرم خلته بألبان أحكام نبوته، وتحققوا بالصفات الخليلية والملة الحنفية هم محامل للصورة البشرية المحمدية لا قابلية فيهم بعد تحققهم بحقيقة الإسلام، والانقياد إلى الله وتقربهم من الله تعالى أن يرجعوا إلى الصفات البشرية التي تقتضي ميلهم إلى الإلقاءات الشيطانية والخواطر

---

[1] سبق تخريجه

النفسانية وليس للشيطان عليهم سلطان يغويهم، كما أخبر الحق تعـالى في كتابـه العزيز لنـا عـن ذلـك بقولـه ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ﴾ [الحجر/٤٢].

ولا شك أن إبراهيم عليه السلام وذريته الذين هم آباؤه صلى الله عليه وآله وسلم الذي دعا إبراهيم في حقهم ثبوتهم على الإسلام، وبقاءه فـيهم إلى مبعـث الرسول، وقبل الله دعاءه وبعث رسوله صلى الله عليه وآله وسلم الذي طلبه منـه فيهم منهم، كما قال صلى الله عليه وآله وسلم: "أنا دعوة أبي إبراهيم"[1].

إلى أن قال[2]: فمن آمن بالله ورسوله ومبعثه بالصـورة الطبيعيـة الطـاهرة والهيئة الكلية الكمالية لا ينسبه إلا إلى النسب الطاهر.

ومن أضاف إليهما أمرا يخالف رتبته العلية وطهارته الذاتية فهو من الـذين قال الله تعـالى فـيهم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [الأحزاب/٥٧].

---

[1] أخرجه ابن حبان في "صحيحه" ١١٦/١٤ عن العرباض بن سارية.

[2] "مطالع النور السني المنبي" ص ١٠٥.

سئل القاضي أبو بكر بن العربي أحد أئمة المالكية عن رجل قال: إن آبــاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم في النار. فأجاب بأن من قال ذلك فهو ملعون لقوله تعـــــالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾ [الأحزاب/٥٧].

قال: ولا أذى أعظم من أن يقال في أبيه: إنه في النار.

وقال الإمام موفق الدين بن قدامة الحنبلي في "المقنع": ومـــن قـــذف أحـــد أجداد النبي صلى الله عليه وآله وسلم قُتل مسلما كان أو كافرا.

وفي قول آخر: يقتل كافرا، فوجب على السلطان العادل والإمـــام التقـــي المعتدل الذي يحمي الشريعة الكلية المحمدية، ويحارب على الملة الغراء الحنيفيـــة أن يزيل الفساد من الأرض وأيُّ فساد أعظم في الدين والوجوب من إضافة النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى عرق المشرك وإضافة الشرك إلى من منـــه طلعـــت شمـــس التوحيد والإيمان ومنه أشرقت أنوار الرحمة على أعيان الممكنات في بقعة الإمكان.

وبالله التوفيق والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، وصـــلى الله علـــى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.اهـــ

نسأل اللهَ الكريم أن يرزقنا حُبَّ رسول الله صلى الله عليه وآلـــه وســـلم، وتعظيم آل بيته واحترام صحابته، إنه سميعٌ قريب مجيب الدعوات.والحمــد لله رب العالمين.

<u>الفهرس العام</u>